



أهمية أعمال القلوب في حياة المربى:

1 – إن قيام المربى بأعمال القلوب كما ينبغي سبب – بإذن الله – لمحبة الله جل وعلا له وهي الغاية العظمى التي يسعى لها كل مسلم.

قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العبد الذي الغنى الخفي" (1).

2 – إن قيام المربى بأعمال القلوب كما ينبغي سبب – بإذن الله – في وضع القبول له في الأرض، ومن ثم محبة الناس له، والاقتداء به، والتأثير بدعوته وتربيته، بل وفي رؤيته وسماته وإن لم يتكلم فإنها تذكر بالله جل وعلا (2).

وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا أحب عبداً نادى: يا جبريل إني أحب فلاناً، فيحبه جبريل، ثم يحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض" (3).

يقول ابن رجب رحمة الله تعالى:

[ومن اشتغل بتربية منزلته عند الله بما ذكرنا من العلم الباطن وصل إلى الله، فاشتغل به عما سواه، وكان له في ذلك شغل عن طلب المنزلة عند الخلق، ومع هذا، فإن الله يعطيه المنزلة في قلوب الخلق والشرف عندهم، وإن كان لا يريد ذلك ولا يقف معه، بل يهرب منه أشد الهرب ويفر أشد الفرار، خشية أن يقطعه الخلق عن الحق جل جلاله.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًا} أي: في قلوب عباده ، وفي حديث: "إن الله إذا أحب عبداً نادى: يا جبريل، إني أحب فلاناً..." الحديث (4).

3 – إن قيام المربى بأعمال القلوب كما ينبغي سبب – بإذن الله – في الإكثار والمسارعة للطاعات، واجتنابه للمعاصي والمنكرات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى: [إذا حسنت السرائر أصلح الله الظواهر، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون] (5).

4 – إن قيام المربى بأعمال القلوب كما ينبغي سبب – بإذن الله – في استمراره في طريق الدعوة وال التربية والصبر والمصايرة على ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: [أعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، وأقواها

المحبة وهي مقصودة تراد لذاتها [6].

فإذا تحرك القلب بما فيه من أعمال قلوب تحركت الجوارح ونشطت للعمل والاجتهد والبذل والعطاء ، وإذا ضعفت أعمال القلوب في القلب ضعفت حركته وكسل، فكسلت الجوارح بكسله، فهو ملكها ومحركها والباعث لها.

وأذكر هنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة أخرى للمناسبة؛ فيقول: [وكان عمر لكونه أكمل إيماناً وإخلاصاً وصدقاً ومعرفة وفارسة ونوراً أبعد عن هوى النفس وأعلى همة في إقامة دين الله] (7).

5 - إن قيام المربi بأعمال القلوب كما ينبغي سبب - بإذن الله - في تطهير قلبه من آفات القلوب وأمراضها كالحسد والكبر والرياء والعجب والحرص على الشهرة وحب الظهور وغير ذلك من الآفات ، فبقدر تمكن أعمال القلوب وقوتها في قلب المربi يكون تطهير قلبه من أضدادها ، فالإخلاص مثلاً ينفي ويطرأ من القلب الرياء والعجب وحب الشهرة والظهور ، والتواضع ينفي ويطرأ من القلب الكبر والتعالي، ورد الحق خاصة إذا ورد من الخصم. وسلامة القلب تنفي عنه وتطهيره من الحسد والغل... وهكذا.

سلامة قلب المربi من هذه الأهواء والآفات من أسباب قبول الله لتعليمه ودعوته وتربيته ووضع البركة فيها، ومن ثم أثرها الطيب بين الناس.

إن قيام المربi بأعمال القلوب كما ينبغي سبب - بإذن الله - في حفظه من زيف القلوب واتباع الهوى عند ورود الشبهات والشهوات ، قال تعالى عن يوسف عليه السلام: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} ، يقول القرطبي رحمه الله تعالى عن هذه الآية: [وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: (المُخْلَصِينَ) بكسر اللام، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله، وقرأ الباقيون بفتح اللام...]. (8).

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: [...] والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء؛ لأنه من عباده المخلصين له في عبادتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واحتسبهم لنفسه] (9).

7 - إن قيام المربi بأعمال القلوب كما ينبغي سبب - بإذن الله - للهداية للحق والسداد في الآراء عند ورود الشبهات وأيام الفتنة والملمات.

8 - إن قيام المربi بأعمال القلوب كما ينبغي سبب - بإذن الله - للثبات على الحق والانتصار به عند ورود الشدائيد والمحن ، يقول الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: [يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا، عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة، على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها، وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، والختمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملائكة، للجواب الصحيح، إذ قيل للميت "من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟" هداهم للجواب الصحيح، بأن يقول المؤمن: "الله ربِّي، والإسلام دينِي، ومحمد نبِّي".

9 - إن قيام المربi بأعمال القلوب كما ينبغي من أسباب نصر الله جل وعلا لعبدِه، وظفره على من عاداه ، فالصبر والتقوى من أعمال القلوب، اللذان لهما أثر على أعمال الجوارح، وبهما يستنزل النصر، ويتحقق الظفر.

قال تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: {إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيغُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ *} قالوا تَالَّهِ لَقَدْ أَثْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ}.

وقال تعالى: {إِنَّمَا تَسْسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصْبِكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرُحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}.

10 – إن قيام المربى بأعمال القلوب كما ينبغي سبب – بإذن الله – في حسن الخاتمة.

يقول الشيخ عبد العزيز الجليل حفظه الله: [وتأتي أهمية السرائر وأعمال القلوب أيضاً من كونها الأساس في الإيمان والكفر والنفاق، وذلك حسب ما يقوم في القلب من هذه الأوصاف.. وهذا بدوره يؤثر في حسن الخاتمة وسوئها، حيث ترتبط الخاتمة حسناً وسوءاً بصلاح السريرة أو فسادها] (10).

11 – إن قيام المربى بأعمال القلوب كما ينبغي سبب – بإذن الله – في أثره الطيب والذكر الحسن له بعد موته.

يقول ابن المبارك: [ما رأيت أحداً ارتفع مثل مالك، ليس له كثرة صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة] (11). والشاهد من هذا أن الإمام مالك رحمه الله تعالى طاب أثره ورفع ذكره بعد موته – وذلك بسبب خبيئة في قلبه وحسن سريرته، نسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً – إذ كان من الأئمة الأعلام المقتدى بهم، بل وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المتبعة.

= يتبّع

(1) رواه مسلم (2965).

(2) في الحديث "ألا أخبركم بخياركم"، قالوا: بل، قال: "الذين إذا رأوا ذكر الله..." انظر صحيح الأدب المفرد فقد حسن الألباني رقم (46).

(3) رواه البخاري (3209).

(4) مجموعة رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، دراسة وتحقيق أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواي (1/95).

(5) مجموع الفتاوى (3/277).

(6) المصدر السابق (1/95).

(7) المصدر السابق (1/304).

(8) الجامع لأحكام القرآن (11/318)، طبعة الرسالة العالمية.

(9) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، طبعة مؤسسة الرسالة ص (396).

(10) يوم تبلي السرائر، ص (13).

(11) سير أعلام النبلاء (8/97).

المصادر: